

دين السلام والتسامح

(صورة مشرقة من تاريخ الأمة في السلام والتسامح)

محمد صادق خان

قسم العاملين في المساجد، دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي

قدم المؤلف هذا البحث في مسابقة بحثية ثقافية لدى مراكز هيا بنت حسين الثقافية الإسلامية، التابعة لدائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي تحت عنوان "دين السلام والتسامح" في عام التسامح، وفاز فيها على المركز "الأول" بتاريخ ٢٤/مايو/٢٠١٧م.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:-

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله تعظيمًا لشأنه، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله الداعي إلى رضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وأتباعه. وبعد:

إن ديننا دين عفو وصفح ومسامحة وليس دين حقد وتباغض ومقاطعة، كيف لا وقد سمي هذا الدين باسم الإسلام كما قال تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} [المائدة: ٣].

فالإسلام هو دين السلام والتسامح قد أولى الإسلام قيمة التسامح مكانة هامة، وأعطى النبي صلى الله عليه وسلم من خلال سيرته العطرة أمثلة تطبيقية عملية في ممارسة هذه القيمة، وغرسه في نفوس المسلمين.

والسلام لها إطلاقات كثيرة ولكن الذي يهمنا في الموضوع هو ما يراد به الصلح والمهدنة، وسمي سلاماً لأنه يحصل به سلامة من القتال وتبعاته.

لقد أكد أئمة الإسلام أن السلام هو هدف الإسلام وغايته في الأرض، قال تعالى {والله يدعو إلى دار السلام} [يونس ٢٥]، ويعني السلام في مضمونه العملي، على أساس من مبدأ العدل، والمساواة، والحرية للجميع، بعيداً عن الأطماع البشرية الخبيثة. ولا يسمى السلام سلاماً إلا إذا كان هذا السلم صالحاً للطرفين، فإذا لم يكن كذلك، كان ذلك ظلماً وذللاً قال الله تعالى {وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم} [الأنفال ٦١]. فالآية أمرت المسلمين على أن يجنحوا للسلم إذا جنح الطرف الآخر، ثم يتوكلوا على الله، فمن توكل على الله فقد كفاه.

وعلى أساس السلام والتسامح قامت حضارتنا الإسلامية، وهناك نماذج لا تعد ولا تحصى التي تثبت إقرار هذا المبدأ العظيم، وسأنتظر في الحديث إلى بعض منها في هذا البحث.

وهيكل البحث مرتكز على أربعة عناوين فقط:

أولاً: مواقف تسامح الإسلام مع المشركين.

ثانياً: مواقف تسامح الإسلام مع اليهود.

ثالثاً: مواقف تسامح الإسلام مع النصارى.

رابعاً: مواقف دولة الإمارات العربية المتحدة ومؤسسها الوالد الفقيه الشيخ زايد بن سلطان

آل نهيان رحمه الله في إظهار روح التسامح ومبدأ السلام أم العالم.

وقد راعيت في بحثي الاكتفاء بذكر مصدر واحد لكل موقف؛ لأن المجال مجال ذكر بعض النماذج لسماحة الإسلام لا مجال تحقيق وتنقيح، وعملت على تخريج الأحاديث الواردة في ما عدا الصحيحين، مع ذكر درجة صحته بأقوال العلماء المتقدمين في الغالب، وعملت أيضاً على ترجمة وتعريف بعض الرجال الذين لهم أثر كبير للموضوع أو أنهم لا يعرفون بالوجه العام، أما المشاهير فهم غنى عن ذلك، والله الهادي إلى الصواب.

وفي الختام أتمنى من الله العلي القدير أن يتقبل مني هذا العمل، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

محمد صادق خان

تمهيد:-

في هذا العصر بدأ الإعلام بتثويته صورة الاسلام، وهذا دين أعداء الاسلام من سالف الزمان، حيث يصورونه أنه دين القتل والبغض والكرهية، ولكن الحقيقة خلاف ذلك، وها هي بعض المواقف من صورة عدل الاسلام وسماحته.

أولاً: مواقف تسامح الاسلام مع المشركين:-

• موقف النبي عليه الصلاة والسلام مع أهل الطائف:

حدث عروة، أن عائشة رضي الله عنها، زوج النبي صلى الله عليه وسلم، حدثته أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد، قال: " لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلمتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال فسلم علي، ثم قال: يا محمد، فقال، ذلك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده، لا يشرك به شيئاً".^(١)

إن النبي صلى الله عليه وسلم رفض منهج الاستئصال فكانت رحمته وسماحته وشفقته العظيمة هي التي تغلب في المواقف العصبية التي تبلغ فيها المعاناة أشد مراحلها، وتضغط بعنف على النفس لتشتد وتقسو، وعلى الصدر ليضيق ويتبرم، ومع ذلك تبقى نفسه الكبيرة ورحمته العظيمة هي الغالبة.

(١) صحيح البخاري (٤/١١٥).

• موقف النبي عليه الصلاة والسلام مع ركانة^(٢):

كان ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف أشد قريش، فخلا يوما برسول الله في بعض شعاب مكة، فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " «يا ركانة ألا تتقي الله وتقبل ما أدعوك إليه؟ " قال: إني لو أعلم أن الذي تقول حق لاتبعتك. فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " أفرأيت إن صرعتك، أتعلم أن ما أقول حق؟ " قال: نعم. قال: " فقم حتى أصارعك " . قال: فقام ركانة إليه فصارعه، فلما بطش به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أضجعه لا يملك من نفسه شيئاً، ثم قال: عد يا محمد. فعاد فصرعه، فقال: يا محمد، والله إن هذا للعجب أتصرعني؟! قال: " وأعجب من ذلك إن شئت أريكه، إن اتقيت الله واتبعته أمري " . قال وما هو؟ قال: أدعوك هذه الشجرة التي ترى فتأثيني " . قال: ادعها. فدعاها، فأقبلت حتى وقفت بين يدي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - . فقال لها: " ارجعي إلى مكانك " . فرجعت إلى مكانها، قال: فذهب ركانة إلى قومه. فقال: يا بني عبد مناف، ساحروا بصاحبكم أهل الأرض، فوالله ما رأيت أسحر منه قط. ثم أخبرهم بالذي رأى والذي صنع^(٣).

تدل القصة على أن النبي عليه الصلاة والسلام قبل مبارزة ركانة طلباً للهداية مع علمه أنه من أشد قريش، وهذا من رحمته عليه الصلاة والسلام.

(٢). هو رُكَانَةُ بْنُ عَبْدِ يَزِيدَ بْنِ هَاشِمِ بْنِ الْمُطَلِّبِ بْنِ عَبْدِ مَنْفٍ الْمُطَلَّبِيِّ. وقال البلاذري: لقي ركانة رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض جبال مكة. فصارعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصرعه وأسلم ركانة في الفتح وقيل اسلم عقب مصارحته. قال الزبير: مات بالمدينة في خلافة معاوية وقال أبو نعيم مات في خلافة عثمان وقيل عاش إلى سنة إحدى وأربعين (ينظر الإصابة لابن حجر ٤١٣/٢ - ٤١٤).

(٣) البداية والنهاية (٤/ ٢٥٥-٢٥٦).

قال ابن كثير رحمه الله : وقد روى [هذه القصة بسياق آخر] أبو بكر الشافعي بإسناد جيد، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

● موقف النبي عليه الصلاة والسلام عندما جاء الشركون يناشدونه من القحط:

عن مسروق، قال: قال عبد الله: إنما كان هذا، لأن قريشا لما استعصوا على النبي صلى الله عليه وسلم دعا عليهم بسنين كسني يوسف، فأصابهم قحط وجهد حتى أكلوا العظام، فجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد، فأنزل الله تعالى: {فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين. يغشى الناس هذا عذاب أليم} [الدخان: ١١] قال: فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له: يا رسول الله: استسقى الله لمضر، فإنها قد هلكت، قال: «لمضر؟ إنك لجريء» فاستسقى لهم فسقوا، فنزلت: {إنكم عائدون} [الدخان: ١٥] فلما أصابتهم الرفاهية عادوا إلى حالهم حين أصابتهم الرفاهية، فأنزل الله عز وجل: {يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون} [الدخان: ١٦] قال: يعني يوم بدر. (٤)

في الحديث دليل على سماحة النبي عليه الصلاة والسلام ورأفته، فمع ما صنعه المشركون به وبأصحابهم ظلم واضطهاد، فهو يدعو لهم بالرزق والمعافاه.

● موقف النبي عليه الصلاة والسلام مع أسارى بدر:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لما كان يوم بدر قال رسول الله-صلي الله عليه وسلم-: "ما تقولون في هؤلاء الأسرى؟"، قال: فقال أبو بكر: يا رسول الله، قومك وأهلك، استبقهم واستان بهم، لعل الله يتوب عليهم، قال: وقال عمر: يا رسول الله، أخرجوك وكذبوك، فاضرب أعناقهم، قال: وقال عبد الله بن رواحة: يا رسول الله، انظر وادياً كثير الحطب فأدخلهم فيه، ثم أضرم عليهم ناراً، قال: فقال العباس: قطعت رحمك، قال: فدخل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولم يرد عليهم شيئاً، قال: فقال ناس: يأخذ بقول أبي بكر، وقال ناس: يأخذ بقول عمر، وقال ناس: يأخذ بقول عبد الله بن رواحة، قال: فخرج

(٤) صحيح البخاري (٦ / ١٣١).

رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: "إن الله ليلين قلوب رجال فيه حتى تكون ألين من اللين، وإن الله ليشد قلوب رجالي فيه حتى تكون أشد من الحجارة، وإن مثلك يا أبا بكر كمثل إبراهيم عليه السلام، قال {فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم} ومثلك يا أبا بكر كمثل عيسى، قال {إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم} وإن مثلك يا عمر كمثل نوح، قال {رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا}، وإن مثلك يا عمر كمثل موسى، قال: رب {اشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم}، أنتم عالية، فلا ينفلتن منهم أحد إلا بفداء أو ضربة عنق"، قال عبد الله: فقلت: يا رسول الله، إلا سهيل بن بيضاء، فإني قد سمعته يذكر الإسلام، قال: فسكت، قال: فما رأيتي في يوم أخوف أن تقع علي حجارة من السماء في ذلك اليوم، حتى قال: "إلا سهيل بن بيضاء"، قال: فأنزل الله عز وجل {لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم} إلى قوله {ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم}.^(٥)

إن عفو رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أعدائه بعد أن صاروا أسارى في يده، يظنون كل الظن أنهم سيأخذون بذنوبهم وجرائمهم، وقد نشف الدم في عروقهم، وتبيست أعصابهم، واصفرت جلودهم من شدة ما هم فيه من الفزع والخوف أن يقضي عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يستحقونه قضاءً يقضي عليهم، أو يضرب عليهم الرق ويجعلهم عبيداً يتقاسمهم المجاهدون، فما زال ما فعلوه بالمستضعفين شاخصاً في النفوس، وما زالت أيديهم تقطر من دماء الشهداء، وما أذاقوه للمؤمنين بمكة من ويلات وعذاب لم يُمحَ بعدُ من الذاكرة، ومع كل هذا كانت معاملة النبي صلى الله عليه وسلم للأسرى تحفها الرحمة، والعدل، والحزم.

(٥) مسند أحمد (٣/ ٥٢١).

وقال الساعاتي في تخريجه: رواه أيضاً الحاكم في المستدرک وصححه وأقره الذهبي ورواه الترمذي مختصراً وقال هذا حديث حسن وأبو عبيدة لم يسمع من أبيه، وأورده الحافظ ابن كثير في التفسير ولم يذكر له علة (قلت) له شواهد كثيرة تعضده (ينظر: الفتح الرباني ١٨/ ١٥٤). انتهى

• موقف النبي عليه الصلاة والسلام مع ثمامة بن أثالة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: بعث النبي صلى الله عليه وسلم خيلا قبل نجد، فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة بن أثال، فربطوه بسارية من سواري المسجد، فخرج إليه النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: «ما عندك يا ثمامة؟» فقال: عندي خير يا محمد، إن تقتلني تقتل ذا دم، وإن تنعم تنعم على شاكرك، وإن كنت تريد المال فسل منه ما شئت، فترك حتى كان الغد، ثم قال له: «ما عندك يا ثمامة؟» قال: ما قلت لك: إن تنعم تنعم على شاكرك، فتركه حتى كان بعد الغد، فقال: «ما عندك يا ثمامة؟» فقال: عندي ما قلت لك، فقال: «أطلقوا ثمامة» فانطلق إلى نجل قريب من المسجد، فاغتسل ثم دخل المسجد، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله، يا محمد، والله ما كان على الأرض وجه أبغض إلي من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلي، والله ما كان من دين أبغض إلي من دينك، فأصبح دينك أحب الدين إلي، والله ما كان من بلد أبغض إلي من بلدك، فأصبح بلدك أحب البلاد إلي، وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة، فماذا ترى؟ فيشره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره أن يعتمر، فلما قدم مكة قال له قائل: صبوت، قال: لا، ولكن أسلمت مع محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا والله، لا يأتاكم من اليمامة حبة حنطة، حتى يأذن فيها النبي صلى الله عليه وسلم.^(٦)

في قصة ثمامة من الفوائد ربط الكافر في المسجد والمن على الأسير الكافر وتعظيم أمر العفو عن المسيء لأن ثمامة أقسم أن بغضه انقلب حبا في ساعة واحدة لما أسداه النبي صلى الله عليه وسلم إليه من العفو والمن بغير مقابل وفيه الاغتسال عند الإسلام وأن الإحسان يزيل البغض ويثبت الحب وأن الكافر إذا أراد عمل خير ثم أسلم شرع له أن يستمر في عمل ذلك الخير وفيه الملاطفة بمن يرجى إسلامه من

(٦) صحيح البخاري (١٧٠ / ٥).

الأسارى إذا كان في ذلك مصلحة للإسلام ولا سيما من يتبعه على إسلامه العدد الكثير. (٧)

• موقف النبي عليه الصلاة والسلام مع مشركي مكة يوم الفتح:

لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٨) واطمأن الناس، خرج حتى جاء البيت، فطاف به سبعا على راحلته، يستلم الركن بمحجن في يده، فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة، فأخذ منه مفتاح الكعبة ففتحت له، فدخلها فوجد بها حمامة من عيدان، فكسرها بيده ثم طرحها، ثم وقف على باب الكعبة فقال: «لا إله إلا الله وحده، لا شريك له، صدق الله وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ألا كل مأثرة أو دم أو مال يدعى فهو تحت قدمي هاتين، الإسدانة البيت وسقاية الحاج، ألا وقتيل الخطأ شبيهه العمد السوط والعصى ففيه الدية مغلظة مائة من الإبل، أربعون منها في بطونها أولادها، يا معشر قريش: إن الله أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء، الناس من آدم، وآدم من تراب، ثم تلا هذه الآية: يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى الآية، ثم قال: «يا معشر قريش: ما ترون أني فاعل فيكم؟ قالوا: خيرا، أخ كريم وابن أخ كريم، ثم قال: «اذهبوا فأنتم الطلقاء».^(٩)

فهذا يدل على حلمه صلى الله عليه وسلم وصبر وعفوه عند المقدرة، بعد ما صبر على مقاساة قريش وأذى الجاهلية ومصابرة الشدائد الصعبة معهم إلى أن أظفره الله عليهم وحكمه فيهم وهم لا يشكون في استئصال شأفتهم وإبادة خضرائهم فما زاد على أن صفح عنهم وقال كلمة سطرت بماء الذهب (إذهبوا فأنتم الطلقاء).

(٧) فتح الباري لابن حجر (٨ / ٨٨).

(٨) أي المسجد الحرام بعد الفتح.

(٩) عيون الأثر (٢ / ٢٢٦).

قلت : قد أورد نحو هذه القصة الإمام ابن كثير رحمه الله في البداية والنهاية (٦ / ٥٦٨)، ولم يذكر له علة.

• موقفه عليه الصلاة والسلام مع أهل الطائف عندما استعصى عليه فتحها:

عن غطيف بن أبي سفيان قال: أتت الأنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا رسول الله، ادع الله على ثقيف فقال صلى الله عليه وسلم: «اللهم اهد ثقيفا»، قالوا: يا رسول الله، ادع عليهم فقال: «اللهم اهد ثقيفاً»، فعادوا فعاد، فأسلموا فوجدوا من صالحى الناس إسلاما، ووجد منهم أئمة وقادة.^(١٠)

هذا هو الرحمة المهداة حيث رفض النبي صلى الله عليه وسلم الدعاء على المشركين، بل دعا لهم بالهداية، وهذا من مظهر سماحته ورحمته عيه الصلاة والسلام.

• موقفه عليه الصلاة والسلام مع قاتل عمه حمزة رضي الله عنه:

عن ابن عباس، قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى وحشي^(١١) قاتل حمزة يدعوه إلى الإسلام، فأرسل إليه: يا محمد، كيف تدعوني إلى دينك، وأنت تزعم أن من قتل أو أشرك أو زنا يلقى أثامًا يضاعف له العذاب يوم القيامة، ويخلد فيه مهانا، وأنا قد صنعت ذلك؟ فهل تجد لي من رخصة؟ فأنزل الله عز وجل {إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما} [الفرقان: ٧٠]، فقال وحشي: يا محمد، هذا شرط شديد إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا، فلعلي لا أقدر على هذا، فأنزل الله عز وجل {إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء} [النساء: ٤٨]، فقال وحشي: يا محمد أرى بعد مشيئة فلا أدري يغفر لي أم لا فهل غير هذا؟ فأنزل الله عز وجل {يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر

^(١٠) تاريخ المدينة لابن شبة (٢ / ٤٩٩) بهذا اللفظ، ورواه مختصرا الإمام أحمد والترمذي من حديث جابر، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب (ينظر الفتح الرباني ٢٣ / ٢٣٦).

^(١١) هو: وحشي بن حرب. ويكنى: أبا دسمة، وكان من سودان مكة، عبدا لـ «جبير بن مطعم»، قتل «حمزة»، أتى النبي- صلى الله عليه وسلم- مسلما، فقال له النبي- صلى الله عليه وسلم- غيب وجهك عني. وهو الذي قتل مسيلمة الكذاب. (ينظر: المعارف ١ / ٣٣٠، تاريخ الخلفاء ص ٦١)

الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم} [الزمر: ٥٣] "، قال وحشي: هذا فجاء فأسلم، فقال الناس: يا رسول الله، إذا أصبنا ما أصاب وحشي، قال: «هي للمسلمين عامة».(١٢)

هذا إنما يدل على سماحته ورحمته عليه الصلاة والسلام ورحمته بوحشي رضي الله عنه وطلب الهداية له، وإن كان هو قاتل عمه الحبيب حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه، ولو أراد أن يقتصّ منه لكان ذلك حقا وعدلا، لكنه عفا عنه، واكتفى بأن صرفه قائلا: «إليك عني! فإني إذا رأيتك تذكرت عمّي حمزة وشهادته»(١٣)

• تسامح ملوك الهند مع الهندوس:

ذكر الشيخ بدر القاسمي - نائب رئيس مجمع الفقهي الاسلامي بالهند - في مقالته بعنوان (التسامح الإسلامي.. ملوك الهند نموذجا) مانص: هناك شواهد تاريخية ووثائق عديدة أن الملك المسلم أورنگ زيب عالمكير كان قد أصدر مراسيم لمنح عديد من كهنة المعابد الهندوسية عطايا، كما خصص اقطاعات وأراضي للمعابد نفسها. ومازالت بعض تلك المراسيم موجودة ومتوارثة، فيمكن أن يشاهد مرسومين من هذا النوع في معبد سوميشورنات بمدينة إله آباد لدى كهنة المعبد. وكان عشرات من الهندوس يحظون بمناصب رفيعة في أجهزة السلطة، بل كانت هذه سياسة مستحكمة لدى الحكام المسلمين عموما من أجل سياسة أمور بلد، الأكثرية فيه لغير المسلمين. وعملا بمبدأ العدل بين الرعايا في الإسلام، يوصي الامبراطور أكبر ابنه همايون: «يا بني إن أرض الهند ذات ديانات وملل كثيرة، فأحمد الله على أنه أعطاك الملك، وعليك أن تتعد عن كل أنواع العصبية، وأن تقيم العدل بين الناس، ويمكن نشر الإسلام بالعدل بين الناس، وليس باستخدام السيف، فحاول أن تجمع كل أهل الديانات كما جمع الله سبحانه العناصر الأربعة

(١٢) المعجم الكبير (١١ / ١٩٧). قال الهيثمي : وفيه أبين بن سفيان، وهو ضعيف(مجمع الزوائد ٢١٥/١٠).

(١٣). الرسالة المحمدية، ص ١٦٦

في جسد الإنسان ليبقى الحكم مستقرًا».

كذلك الحال كان مستمرًا إلى الأيام الأخيرة من حكم المسلمين في الهند، فالأمير الشجاع الشهم السلطان تيبو الشهيد الذي يتهمه بعض المغرضين بممارسة الظلم ضد بعض الفئات من غير المسلمين واجبارهم على اعتناق الإسلام، يقول عنه المؤرخ الهندوسي رام سندر رائي: «إنه لم يجبر أحدًا على ترك دينه، بل إن خمسمائة شخص اعتنقوا الإسلام طواعية»، وكان يوجد عديد من البراهمة في بلاطه في مناصب رفيعة، وكان يرسل هدايا إلى القائمين بشؤون المعابد الهندوسية، وما زالت بعض الهدايا العينية منها موجودة في معبد رنكات في سري رنكابتم. ولم يقدم على بناء المسجد عند القصر حيث كان المعبد الهندوسي موجودًا هناك منذ زمن بعيد إلا بعد استشارة الكهنة والتنسيق معهم تجنبًا لوقوع الفتنة بين المسلمين والهندوس. وقد بلغ تسامح المسلمين مع الهندوس إلى درجة أن آخر أمراء حيدر آباد كان من وزرائه الكبار رجل هندوسي المهراجة سرکشن برشاد. وكان يمنح المكافآت والعطايا في المساجد والمعابد الهندوسية على حد سواء، فكما كان ٢٧ مسجدًا تحت إشراف الإدارة الحكومية، كان ٢١ معبدًا هندوسيًا أيضًا تحت إشرافها.^(١٤) انتهى.

ثانياً: مواقف تسامح الاسلام مع اليهود:-

● المعاهدة بين المسلمين واليهود بعد الهجرة:

جاء في نص المعاهدة : (... وإن ليهود بني النجار وبني الحارث وبني ساعدة وبني جشم وبني الأوس وبني ثعلبة وجفنة وبني الشطيبة مثل ما ليهود بني عوف، وإن بطانة يهود كأنفسهم، وإنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد، ولا ينحجز على ثأر جرح، وإنه من

^(١٤) مقال بعنوان (التسامح الإسلامي.. ملوك الهند نموذجًا) نشرت في جريدة القبس الكويتية، العدد: ١٥٤٤٧.

فتك فبنفسه [فتك وأهل بيته] إلا من ظلم، وإن الله على أبر هذا، وإن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم، وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وإن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم، وإنه لم يأتهم امرؤ بحليفه، وإن النصر للمظلوم، وإن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة، وإن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم، وإنه لا تجار حرمة إلا بإذن أهلها... إلخ). (١٥)

الشاهد من كل هذا أن الرحمة والتسامح ومحاولات التقرب التي ظهرت من رسول الله صلى الله عليه وسلم قوبلت بعدوانية وقسوة من الطرف اليهودي، ومع ذلك لم يكن ذلك مانعاً رسول الله صلى الله عليه وسلم من مداومة منهج الرحمة والتسامح معهم، وكان أول علامات ذلك ما عقده معهم من معاهداتٍ تحفظ لهم حقوقهم، وتعترف بكينونتهم، وتُقرُّ بتميزهم واستقلاليتهم عن جانب المسلمين، وتضبط في ذات الوقت أطر التعامل – بل والتعاون – في ظل الدولة الجديدة الناشئة.

• موقفه عليه السلام حينما اشتكاه رجل من اليهود:

عن أبي هريرة، قال: بينما يهودي يعرض سلعة له أعطي بها شيئاً، كرهه أو لم يرضه - شك عبد العزيز - قال: لا، والذي اصطفى موسى عليه السلام على البشر قال: فسمعه رجل من الأنصار فلطم وجهه، قال: تقول: والذي اصطفى موسى عليه السلام على البشر ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا؟ قال فذهب اليهودي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا أبا القاسم إن لي ذمة وعهداً، وقال: فلان لطم وجهي، فقال

(١٥) السيرة النبوية لابن كثير (٢/ ٣٢٢).

رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لم لطمت وجهه؟» قال: قال - يا رسول الله - والذي اصطفى موسى عليه السلام على البشر وأنت بين أظهرنا، قال: فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى عرف الغضب في وجهه، ثم قال: " لا تفضلوا بين أنبياء الله، فإنه ينفخ في الصور فيصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله، قال: ثم ينفخ فيه أخرى، فأكون أول من بعث، أو في أول من بعث، فإذا موسى عليه السلام أخذ بالعرش، فلا أدري أحوسب بصعقته يوم الطور، أو بعث قبلي، ولا أقول: إن أحدا أفضل من يونس بن متى عليه السلام". (١٦)

في الحديث بيان عدل الإسلام وسماحته، حيث أن اليهودي رفع مظلمته إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه قام عندهم أن أهل العهد والذمة لا يجوز التعرض لهم، ولذلك قال للنبي صلى الله عليه وسلم إن لي عهدًا وذمة.

• تعامله عليه الصلاة والسلام مع زيد بن سحنة^(١٧):

عن عبد الله بن سلام قال: «إن الله عز وجل لما أراد هدي زيد بن سحنة، قال زيد بن سحنة: ما من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفتها في وجه محمد - صلى الله عليه وسلم - حين نظرت إليه، إلا اثنتين لم أخبرهما منه: يسبق حلمه جهله، ولا تزيده شدة الجهل عليه

(١٦) صحيح مسلم (٤/ ١٨٤٣).

(١٧) زيد بن سحنة. ويقال: سعية بالياء، والنون أكثر في هذا. كان من أبحار يهود، ومن أنزاهم مالا، أسلم فحسن إسلامه، وشهد مع النبي صلى الله عليه وسلم مشاهد كثيرة، وتوفي في غزوة تبوك مقبلا إلى المدينة. (ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٥٥٣/٢)

إلا حلما، قال زيد بن سعة: فخرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوما من الحجرات ومعه علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - فأتاه رجل على راحلة كالبديوي، فقال: يا رسول الله، لي نفر في قرية بني فلان قد أسلموا ودخلوا في الإسلام، وكنت حدثتهم إن أسلموا أتاهم الرزق رغدا، وقد أصابتهم سنة وشدة وقحط من الغيث، فأنا أخشى يا رسول الله، أن يخرجوا من الإسلام طمعا كما دخلوا فيه طمعا، فإن رأيت أن ترسل إليهم بشيء تغيثهم به فعلت، فنظر إلى رجل إلى جانبه - أراه عليا - فقال: يا رسول الله، ما بقي منه شيء، قال زيد بن سعة: فدنوت إليه فقلت: يا محمد، هل لك أن تبيعي تمرا معلوما في حائط بني فلان إلى أجل معلوم، إلى أجل كذا وكذا؟ قال: " لا تسمي حائط بني فلان "، قلت: نعم، فبايعني، فأطلقت همياني فأعطيته ثمانين مثقالا من ذهب في تمر معلوم إلى أجل كذا وكذا، فأعطى الرجل وقال: " اعدل عليهم وأغثم بها "، قال زيد بن سعة: فلما كان قبل محل الأجل بيومين أو ثلاث، خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومعه أبو بكر وعمر وعثمان في نفر من أصحابه، فلما صلى على الجنازة ودنا إلى الجدار ليجلس إليه أتيتته فأخذت بمجامع قميصه وردائه، ونظرت إليه بوجه غليظ، قلت له: يا محمد، ألا تقضيني حقي؟ فوالله ما علمتم بني عبد المطلب إلا مطل، ولقد كان بمخالطكم علم، ونظرت إلى عمر وعيناها تدوران في وجهه كالفلك المستدير، ثم رماني ببصره فقال: يا عدو الله، أتقول لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما أسمع وتصنع به ما أرى؟ فوالذي نفسي بيده، لولا ما أحاذر فوته لضربت بسيفي رأسك، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - ينظر إلي في سكون وتؤدة، فقال: " يا عمر مجمع أنا وهو كنا أحوج إلى غير هذا، أن تأمرني بحسن الأداء وتأمره بحسن اتباعه، اذهب به يا عمر، فأعطه حقه، وزده عشرين صاعا من تمر مكان ما رعته "، قال زيد: فذهب بي عمر فأعطاني حقي وزادني عشرين صاعا من تمر، فقلت: ما هذه الزيادة يا عمر؟ قال: أمرني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن أزيدك مكان ما رعتك، قال: وتعرفني يا عمر؟ قال: لا [من أنت]، قلت: أنا زيد بن سعة، قال: الحبر؟ قلت: الحبر، قال: فما دعاك إلى أن فعلت برسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما فعلت، وقلت له ما قلت؟ قلت: يا عمر، لم يكن من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفت في وجه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين نظرت إليه، إلا اثنتين لم أخبرهما

منه: يسبق حلمه جهله، ولا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلما، وقد اختبرتهما، فأشهدك يا عمر أني قد رضيت بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً، وأشهدك أن شطر مالي - فإني أكثرها مالا - صدقة على أمة محمد - صلى الله عليه وسلم، قال عمر: أو على بعضهم، فإنك لا تسعهم؟ قلت: أو على بعضهم، فرجع عمر وزيد إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال زيد: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وأمن به وصدقه وبايعه وشهد معه مشاهد كثيرة، ثم توفي في غزوة تبوك مقبلاً غير مدبر، رحم الله زيدا». (١٨)

فهذا نموذج آخر من مظهر رحمته عليه الصلاة والسلام، وكمال حلمه وسماحته.

• تعامله عليه الصلاة والسلام مع اليهودي الذي سحره:

عن عائشة رضي الله عنها، قالت: سحر النبي صلى الله عليه وسلم، وقال الليث: كتب إلي هشام أنه سمعه ووعاه عن أبيه، عن عائشة قالت: سحر النبي صلى الله عليه وسلم، حتى كان يخيل إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله، حتى كان ذات يوم دعا ودعا، ثم قال: " أشعرت أن الله أفتاني فيما فيه شفائي، أتاني رجلان: فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي، فقال أحدهما للآخر ما وجع الرجل؟ قال: مطبوب، قال: ومن طبه؟ قال ليبيد بن الأعصم، قال: فيما ذا، قال: في مشط ومشاقة وجف طلعة ذكر، قال فأين هو؟ قال: في بئر ذروان " فخرج إليها النبي صلى الله عليه وسلم، ثم رجع فقال لعائشة حين رجع: «نخلها كأنه رعوس الشياطين» فقلت استخرجته؟ فقال: «لا، أما أنا فقد شفاني الله، وخشيت أن

(١٨) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٨ / ٢٣٩-٢٤٠)، وقال: رواه الطبراني، ورجاله ثقات.

يثير ذلك على الناس شرا» ثم دفنت البئر. (١٩)

الحاصل أن النبي عليه السلام لم يقتل لبيد بن الأعصم كما روي عن ابن وهب أخبرني يونس، عن ابن شهاب، سئل: أعلى من سحر من أهل العهد قتل؟ قال: بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد صنع له ذلك فلم يقتل من صنعه، وكان من أهل الكتاب. (٢٠) مع أنه عليه الصلاة والسلام كان قادرا على قتله ولكن كان رحمته وسماحته وكمال حلمه أنه لم يقتله.

• تعامل الدولة العثمانية مع اليهود:

ذكر الدكتور محمد سهيل طقوش في كتابه " تاريخ العثمانيين " حينما ذكر طلب اليهود من القنصل العثماني في أوروبا منحهم تصريحات لدخول فلسطين والاستقرار فيها، فقال: " لكن الحكومة العثمانية رفضت هذا الطلب، في حين سمحت لهم بالانتقال إلى أي إقليم من أقاليم الدولة العثمانية، شرط أن يتجنسوا بالجنسية العثمانية، ويصبحوا من رعايا السلطان". (٢١)

الشاهد أن الكل يعرف خطر اليهود وكما ذكر أهل التواريخ أنهم كانوا مضطهدين في أوروبا، ولكن أظهرت الدولة العثمانية تسامح الإسلام ومنحتهم بالإقامة في أي بقاع من

(١٩) صحيح البخاري (٤ / ١٢٢).

(٢٠) صحيح البخاري (٤ / ١٠١).

(٢١) تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة (ص: ٤٦٨).

أرض الدولة العثمانية عدا فلسطين.

ثالثاً: مواقف تسامح الإسلام مع النصارى:-

• موقف صلاح الدين الأيوبي في معركة حطين مع النصارى:

يقول الدكتور "علي محمد محمد الصلّابي" عن تسامح المسلمين بعد مجريات معركة حطين التي كانت بين المسلمين والصليبيين: "غدا لاسم صلاح الدين بعد الانتصار، من الرهبة في قلوب، الصليبيين الممزوجة بالإعجاب والإجلال، نظراً لما اتصفت به فتوحات من النبّل والشهامة والمروءة، كما كان لتسامحه معهم، وحسن معاملته لأسراهم، أثر كبير في استسلام العديد من المدن والحصون دون مقاومة تُذكر. والواقع أنه أظهر رحمة وفروسية كبيرتين في تعامله مع الصليبيين، وبفضل هذه السجايا مارست جيوشه ضبط النفس عند النصر وتجنبت ارتكاب الأعمال الوحشية الشائعة في ذلك الوقت، ففي معرض الحديث عن مروءة صلاح الدين لزوجات وبنات الصليبيين كتب أرنول: لقد أعطهن الكثير لدرجة أنهن حمدن الله، ونشرت في الخارج الكثير عن العطف والإجلال اللذين أسداهما لهن صلاح الدين. كما أكرم إسكيفا، زوجة ريموند الثالث، فسمح لها بأن تخرج من قلعة طبرية بالأمان، فخرجت بمالها ورجالها ونسائها وسارت إلى طرابلس، وكان بالبان الإبليني من بين الأمراء الناجين، وكانت زوجته وأولاده في بيت المقدس، فسمح له صلاح الدين بالذهاب إلى المدينة لإخراج زوجته وأولاده، واشترط عليه ألا يبيت فيها أكثر من ليلة واحدة. ولقد وقف الغرب الأوروبي وبخاصة فرنسا موقف الإعجاب والمدح لصلاح الدين، حتى تحوّل في المؤلفات الأدبية الأوروبية إلى ما يشبه الأسطورة التي خرجت عن إطار التاريخ الواقعي والموضوعي".^(٢٢)

(٢٢) صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس (ص: ٥٣٠ - ٥٣١).

• موقف صلاح الدين الأيوبي رحمه الله مع الصليبيين بعد فتح بيت المقدس:

ويواصل الدكتور الصلابي في ذكر محاسن الإسلام وسماحته بعد فتح بيت المقدس على يد السلطان صلاح الدين الأيوبي قائلاً: "لم يعرف التاريخ فاتحاً أرحم من المسلمين: ووفي صلاح الدين بوعده فمسح لمن دفع القطيعة بالخروج وكان قد رتب على كل باب أميراً مقدماً كبيراً يحصر الخارجين، فمن دفع الفدية فقد خرج. وبالرغم من تلك القطيعة الزهيدة التي فرضها صلاح الدين مقابل خروجهم من بيت المقدس، وتأمين وصولهم إلى مأمهم، فإن كثرة كثيرة منهم، لم يستطع دفعها فداء لنفسه، وأصبح بعد مضي أربعين يوماً أسيراً في أيدي المسلمين ولم يسهم أحد من أغنياء الصليبيين من فداء فقرائهم، فقد خرج البطريرك هرقل من بيت المقدس بخزائنه الضخمة دون النظر إلى غيره، ويبدو أن ذلك كان سبب انعدام الروابط الأسرية وغيرها بين الصليبيين في ذلك الوقت، فالأسرى كانوا خليطاً من أجناس وشعوب أوروبية متباينة، وأجناد الغرباء المأجورين الذين رغبوا في السفر إلى الشرق تخلصاً من رق الأرض السائد وقتذاك في المجتمع الأوروبي. والخالصة أن ذلك الموقف المخزي من كبار الصليبيين، وتلك الشهامة وذلك التسامح من صلاح الدين قد أجبر الكاتب الإنجليزي لين بول على إبداء إعجابه بصلاح الدين حيث قال بعد أن تهجم على البطريرك " إنها كانت فرصة للملك المسلم أن يعلم المسيحيين معنى التسامح، وقد برهن صلاح الدين وغيره من أمراء المسلمين على تلك الشهامة والتسامح عندما أصبح الآف المدنيين الصليبيين الذين عجزوا عن دفع الفدية المقررة أسرى في يد صلاح الدين، فطلب الملك العادل إلى أخيه السلطان صلاح الدين يطلب منه أن يهب له ألفاً من أولئك الصليبيين الفقراء ليطلق سراحهم لوجه الله، وأجابه صلاح الدين إلى ذلك وحرك ذلك العمل الإنساني الذي قام به الملك العادل مشاعر البطريرك وبالبيان فتقدما إلى صلاح الدين وطلباً منه مثل ذلك، فأعطاه صلاح الدين ما طلباه وأطلق سراحهم ثم تقدم صلاح الدين ما طلباه وأطلق سراحهم ثم تقدم صلاح الدين وأمر حراسه بالمناداة في شوارع بيت المقدس، بأنه سوف يطلق سراح من لم يستطع دفع الفدية من الصليبيين لكبر سنه وأن على على هذه

الطائفة أن تتقدم من الباب الخلفي للمدينة يسمح لها بالخروج من طلوع الشمس إلى الليل. وما أن صدر ذلك الإعلان حتى توافد الصليبيون على ذلك الباب بأعداد لا تحصى، وطلب أمير البيرة إطلاق سراح زهاء خمسمائة أرمني، ذكر لصلاح الدين إنهم من بلده، وإن قدومهم إلى بيت المقدس كان من أجل العبادة هناك، كما طلب أيضًا الأمير مظفر الدين علي كوجك إطلاق سراح زهاء ألف أرمني أدعى أنهم من الرها، فأجابهم صلاح الدين إلى ذلك وأطلق سراحهم ولم يقتصر ذلك التسامح من المسلمين على ما قام به صلاح الدين وأخوه الملك العادل وكبار الأمراء المسلمين، بل تعدى ذلك إلى عامة المسلمين، والواقع أن صلاح الدين قد أبدى من التسامح وكرم الأخلاق تجاه أسرى الصليبيين في بيت المقدس الشيء الكثير. وبلغ من كرم وشهامة صلاح الدين بما قام به تجاه زوجات وبنات الفرسان الصليبيين، الذين قتلوا وأسروا أثناء معاركهم مع صلاح الدين، فقد تجمعن أمام صلاح الدين يبكين، فسأل عن حالهن وما يطلبن، فقيل له إنهن يطلبن الرحمة، فعطف عليهن صلاح الدين وسمح لمن كان زوجها على قيد الحياة بأن تتعرف عليه وأطلق سراحه وسمح لهم بالذهاب حيث يريدون، أما النساء والبنات اللاتي مات أزواجهن وأبائهن فقد أمر صلاح الدين بأن يصرف لهن من خزانته الخاصة ما يناسب عيشتهن ومركزهن وأعطاهن حتى ابتهلت ألسنتهن بالدعاء له". (٢٣)

صدق المؤلف حينما قال "لم يعرف التاريخ فاتحًا أرحم من المسلمين"، فبعد كل هذه المذابح للمسلمين التي حدثت في الحروب الصليبية خاصة حينما دخلوا بيت المقدس فعلوا ما فعلوا، والتاريخ سطر الواقعة بقلم جبرها الدم، ومع ذلك تسامح معهم وأظهر صورة لا تنساه التاريخ إلى يوم القيامة، وأقول وأكرر قول المؤلف: لم يعرف التاريخ فاتحًا أرحم من المسلمين.

• موقف السلطان محمد الفاتح مع النصارى بعد فتح القسطنطينية:

(٢٣) المصدر السابق (ص: ٥٣٨ - ٥٤٠).

ذكر الدكتور الصلابي في كتابه "فاتح القسطنطينية السلطان محمد الفاتح" ما نص: "توجه محمد الفاتح الى كنيسة آيا صوفيا وقد اجتمع فيها خلق كبير من الناس ومعهم القسس والرهبان الذين كانوا يتلون عليهم صلواتهم وأدعيتهم، وعندما اقترب من أبوابها خاف النصارى داخلها خوفاً عظيماً، وقام أحد الرهبان بفتح الأبواب له فطلب من الراهب تهدئة الناس وطمأنتهم والعودة الى بيوتهم بأمان، فأطمأن الناس وكان بعض الرهبان مختبئين في سراديب الكنيسة فلما رأوا تسامح الفاتح وعفوه خرجوا وأعلنوا إسلامهم، وقد أمر الفاتح بعد ذلك بتحويل الكنيسة الى مسجد وأن يعد لهذا الأمر حتى تقام بها أول جمعة قادمة، وقد أخذ العمال يعدون لهذا الأمر، فأزالوا الصلبان والتماثيل وطمسوا الصور بطبقة من الجير وعملوا منبراً للخطيب، وقد يجوز تحويل الكنيسة الى المسجد لأن البلد فتحت عنوة والعنوة لها حكمها في الشريعة الاسلامية.

وقد اعطى السلطان للنصارى حرية إقامة الشعائر الدينية واختيار رؤسائهم الدينين الذين لهم حق الحكم في القضايا المدنية، كما أعطى هذا الحق لرجال الكنيسة في الأقاليم الأخرى ولكنه في الوقت نفسه فرض الجزية على الجميع.

لقد حاول المؤرخ الإنجليزي ادوارد شيردكريسي في كتابه "تاريخ العثمانيين الاتراك" أن يشوه صورته الفتح العثماني للقسطنطينية ووصف السلطان محمد الفاتح بصفات قبيحة حقداً منه وبغضاً للفتح الاسلامي المجيد وسارت الموسوعة الأمريكية المطبوعة في عام ١٩٨٠م في حماة الحقد الصليبي ضد الاسلام، فزعمت أن السلطان محمد قام باسترقاق غالبية نصارى القسطنطينية، وساقهم الى اسواق الرقيق في مدينة ادرنة حيث تم بيعهم هناك.

إن الحقيقة التاريخية الناصعة تقول أن السلطان محمد الفاتح عامل أهل القسطنطينية معاملة رحيمة وأمر جنوده بحسن معاملة الأسرى والرفق بهم، وافتدى عدداً كبيراً من الأسرى من ماله الخاص وخاصة أمراء اليونان، ورجال الدين، واجتمع مع الاساقفة وهدأ من روعهم، وطمأنهم الى المحافظة على عقائدهم وشرائعهم وبيوت عبادتهم، وأمرهم بتنصيب بطريرك جديد فانتخبوا أجناديوس برطيركا، وتوجه هذا بعد انتخابه في موكب

حافل من الاساقفة الى مقر السلطان، فاستقبله السلطان محمد الفاتح بحفاوة بالغة وأكرمه أيما تكريم، وتناول معه الطعام وتحدث معه في موضوعات شتى، دينية وسياسية واجتماعية وخرج البطريرك من لقاء السلطان، وقد تغيرت فكرته تمامًا عن السلاطين العثمانيين وعن الأتراك، بل والمسلمين عامة، وشعر انه أمام سلطان مثقف صاحب رسالة وعقيدة دينية راسخة وانسانية رفيعة، ورجولة مكتملة، ولم يكن الروم أنفسهم أقل تأثرًا ودهشة من بطريقتهم، فقد كانوا يتصورون أن القتل العام لا بد لاحقهم، فلم تمض أيام قليلة حتى كان الناس يستأنفون حياتهم المدنية العادية في اطمئنان وسلام.

كان العثمانيون حريصون على الالتزام بقواعد الاسلام، ولذلك كان العدل بين الناس من أهم الأمور التي حرصوا عليها، وكانت معاملتهم للنصارى خالية من أي شكل من أشكال التعصب والظلم، ولم يخطر ببال العثمانيين أن يضطهدوا النصارى بسبب دينهم. إن ملل النصارى تحت الحكم العثماني تحصلت على كافة حقوقها الدينية، وأصبح لكل ملة رئيس ديني لا يخاطب غير حكومة السلطان ذاتها مباشرة، ولكل ملة من هذه الملل مدارسها الخاصة وأماكن للعبادة والأديرة، كما أنه كان لايتدخل أحد في ماليتها وكانت تطلق لهم الحرية في تكلم اللغة التي يريدونها.

إن السلطان محمد الفاتح لم يظهر ما أظهره من التسامح مع نصارى القسطنطينية إلا بدافع التزامه الصادق بالإسلام العظيم، وتأسياً بالنبي الكريم - صلى الله عليه وسلم -، ثم بخلفائه الراشدين من بعده، الذين أمتلأت صحائف تاريخهم بمواقف التسامح الكريم مع أعدائهم". (٢٤)

مهما حاول أعداء الإسلام من تشويه صورة هذا الدين الحنيف فلن يتمكنوا من ذلك حتى ولو طلعت الشمس من مغربها، فهذه النماذج تظهر سماحة الاسلام في حين قدرة المسلمين على النيل منهم ولكنهم تأسوا بالنبي الكريم عليه الصلاة والسلام، فأين هذا مما فعله الصليبيون عندما استولوا على القسطنطينية عام (١٢٠٤ هـ)، ودمروها، وفتكوا بأهلها

(٢٤) فاتح القسطنطينية السلطان محمد الفاتح (ص: ١١١ - ١١٣)

وهم مسيحيون مثلهم؟ وأين هذا مما فعل النصارى في الأندلس عندما سقطت في أيديهم، وخدعوا المسلمين بأن أعطوهم عهدًا باحترام ديانتهم وأموالهم وأعراضهم، ولم يلبثوا أن مالوا عليهم ميلاً واحدة، أقول: هذا هو الإسلام الذي سطرت تاريخه بنماذج لا تعد ولا تحصى من التسامح العالمي الأمثل، وكيف لا وهو دين السلام.

رابعاً: مواقف دولة الإمارات العربية المتحدة ومؤسسها الوالد الفقيه الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رحمه الله في إظهار روح التسامح ومبدأ السلام أم العالم:-

جاء في جريدة البيان مقال بعنوان (مواقف زايد.. بصيرة ثاقبه)^(٢٥) ((اتخذ زايد - رحمه الله - مواقف ثابتة وشجاعة تجاه رفض وإدانة ظاهرة الإرهاب بكل أشكاله وصوره ومصادره، وأكد دعمه الكامل للجهود الدولية والإقليمية لمكافحة هذه الظاهرة التي لا تمثل الإسلام وسماحته، والذي اعتبرها عملاً بغيضاً من وجهة نظر الإسلام والأديان السماوية، وعدواً لدوداً للإنسانية جمعاء.

ودعا - رحمه الله -، دوماً، إلى التسامح والتراحم في العلاقات الإنسانية بين الشعوب وأكد، في أكثر من موقف، أن الدين الإسلامي لا يعرف العنف والبطش الذي يمارسه الإرهابيون الذين يدعون الإسلام زوراً، وأن الإسلام هو دين المحبة والغفران والتسامح والرفقة، وأن المسلم لا يجوز أن يقتل أخاه مسلماً كان أو غير مسلم.

^(٢٥) مقال بعنوان (مواقف زايد.. بصيرة ثاقبة) في جريدة البيان الصادرة بتاريخ: (٦ يوليو ٢٠١٥)، (بتصرف)

وأشار - رحمه الله -، في كلمة وجهها إلى رجال الدين وأهل العلم في العالم العربي والإسلامي يوم ٢٢ مارس ١٩٩٣ إلى التصدي لظاهرة التطرف الديني الذي يرفضه الإسلام، وتوعية الشباب بمبادئ الدين الحق الذي يدعو إلى التسامح والتراحم ويرفض قتل المسلم لأخيه المسلم.

وقال - رحمه الله - في رسالته: "إن الواجب يحتم على أهل العلم أن يبينوا للناس جوهر الإسلام ورسالته العظيمة بأسلوب يليق بسماحة الدين الحنيف، الذي يحث على الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة حتى يستجيب الناس ويواجهوا الإرهاب باسم الدين والقتل باسم الدين".

ونبذ الشيخ زايد - رحمه الله -، انطلاقاً من روح التسامح التي يؤمن بها، ظاهرة التطرف الديني. وأكد في لقائه مع عدد من السفراء الجدد يوم ٢٩ مارس ١٩٨٨ "إن البشرية لها قيمة عظيمة عند الله سبحانه وتعالى.. ويجب أن تُعامل بما أراد الخالق لها من خير ورفاهية، وان الإسلام يكرم الإنسان لأن المولى عزّ وجلّ كرّمه، وإنه يعتبر النفس البشرية أمانة يجب ألا تُهان أو تُذللّ أو تُعامل بدون عدالة أو بدون حقّ، وأن قتل النفس البشرية بغير حقّ يعتبر ذنباً عظيماً لأن من قتل نفساً بدون حقّ كمن قتل البشرية كلها".

وقال - رحمه الله -: "إن الدين الإسلامي يعامل جميع البشر على السواء، لا فرق بين مسلم وغير مسلم، وإن الله سبحانه وتعالى، عندما بعث نبيّه سيّد المرسلين محمداً صلى الله عليه وسلم، أمره بأن يجادل بالتي هي أحسن، وأنه لو كان فظاً غليظ القلب لانفضوا من حوله".

وقال - رحمه الله - في آخر كلمة، قبل رحيله، وجهها للأمة في الأول من ديسمبر ٢٠٠٣: "إننا نؤكد أن لا الشرائع السماوية ولا القانون الدولي ولا شرعة حقوق الإنسان، تعطي أي مبرر لممارسة الإرهاب، وأن أية محاولة لاستخدام الدين لتبرير هذه الأعمال محاولة خاطئة من أساسها، لأنها تنافي كل الأسس والمبادئ والقيم والتعاليم الدينية والإنسانية". انتهى بتصرف)).

فها هي القيم التي تشبثت به هذا الدولة - حرسها الله -، كيف لا وقائدها ومؤسسها حمل هذا الفكر مع إخوانه حكام الإمارات، وقد أصبحت هذه الدولة نموذجًا رائعًا أمام العالم بنشر هذه القيم الحميدة والصفات النبيلة.

الخاتمة:-

لا يمكن لباحث أو متتبع للسيرة النبوية أن يحصي مواقف الرسول صلى الله عليه وسلم التي ضرب فيها أروع مثال للعدل والتربية والتسامح مع مخالفيه من غير المسلمين، حتى ليخيل إلى مطالع هذه السيرة العطرة أنه صلى الله عليه وسلم لم يتعامل مع مخالفيه إلا بما يرضون ما لم يكن في الأمر مخالفة للشرع، كيف لا وقد حباه الله بما لم تعهده البشرية من صفات وخصائص جعلت منه شخصية استثنائية في كل شيء، وكذا مواقف سلف هذه الأمة في نشر التسامح، لذا إن ثقافة التسامح تشكّل صمام الأمان لعالم مطمئن ومزدهر ومتقدم، كما تشكّل الأساس المتين لعلاقات طيبة على مستوى الأفراد والمجتمعات، فمن من الواجب على الجميع العمل على نشر قيم وفضائل التسامح حتى تصير ثقافة عامة، فنعيش في عالم مطمئن ومتقدم.

المصادر والمراجع:-

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، بتحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.
- ٣- صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، بتحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ٤- مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، بتحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: دار الحديث - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م.
- ٥- الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ومعه بلوغ الأمان من أسرار الفتح الرباني، المؤلف: أحمد بن عبد الرحمن بن محمد البنا الساعاتي (المتوفى: ١٣٧٨ هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الثانية.
- ٦- المعجم الكبير، لسليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، بتحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية - القاهرة، الطبعة: الثانية.

- ٧- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لأبي الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ)، بتحقيق: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، عام النشر: ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م.
- ٨- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.
- ٩- الإصابة في تمييز الصحابة لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ
- ١٠- المعارف، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، تحقيق: ثروت عكاشة الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٩٩٢ م
- ١١- تاريخ المدينة لابن شبة، لعمر بن شبة (واسمه زيد) بن عبيدة بن ربيعة النميري البصري، أبو زيد (المتوفى: ٢٦٢هـ)، بتحقيق: فهيم محمد شلتوت، طبع على نفقة: السيد حبيب محمود أحمد - جدة.
- ١٢- عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، لمحمد بن محمد بن محمد بن أحمد، ابن سيد الناس، اليعمري الربيعي، أبو الفتح، فتح الدين (المتوفى: ٧٣٤هـ)، تعليق: إبراهيم محمد رمضان، الناشر: دار القلم - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩٣/١٤١٤.
- ١٣- البداية والنهاية، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، بتحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، سنة النشر: ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م.

- ١٤- تاريخ الخلفاء المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: حمدي الدمرداش، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز، الطبعة: الطبعة الأولى: ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م
- ١٥- السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير)، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، بتحقيق: مصطفى عبد الواحد، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان، عام النشر: ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٦ م.
- ١٦- الرسالة المحمدية، المؤلف: السيد سليمان الندوي الحسيني (المتوفى: ١٣٧٣هـ) الناشر: دار ابن كثير - دمشق، الطبعة: الأولى - ١٤٢٣ هـ
- ١٧- صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحريم بيت المقدس، لعلي محمد محمد الصلّابي، الناشر: دار المعرفة، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
- ١٨- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، المحقق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار الجيل، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م
- ١٩- فاتح القسطنطينية السلطان محمد الفاتح، لعلي محمد محمد الصلّابي، الناشر: دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م.
- ٢٠- تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، للدكتور محمد سهيل طقوش، الناشر: دار النفائس، الطبعة: الطبعة الثانية ٢٠٠٨ م.
- ٢١- مقال بعنوان (التسامح الإسلامي.. ملوك الهند نموذجًا)، للشيخ بدر القاسمي نائب رئيس مجمع الفقه الإسلامي بالهند، نشرت في جريدة القبس الكويتية، العدد: ١٥٤٤٧.
- ٢٢- مقال بعنوان (مواقف زايد.. بصيرة ثاقبة) في جريدة البيان الصادر بتاريخ: (٦ يوليو ٢٠١٥).

الفهرس :-

رقم الصفحة	العناوين	م
٢	المقدمة	١
4	تمهيد	٢
4	موقف النبي عليه الصلاة والسلام مع أهل الطائف	مواقف تسامح الاسلام مع المشركين
5	موقف النبي عليه الصلاة والسلام مع ركائة	
6	موقف النبي عليه الصلاة والسلام عندما جاء الشركون بناشدونه من القحط	
٦	موقف النبي عليه الصلاة والسلام مع أسارى بدر	
٨	موقف النبي عليه الصلاة والسلام مع ثمامة بن أثالة	
٩	موقف النبي عليه الصلاة والسلام مع مشركي مكة يوم الفتح	
١٠	موقفه عليه الصلاة والسلام مع أهل الطائف عندما استعصى عليه فتحها	
١٠	موقفه عليه الصلاة والسلام مع قاتل عمه حمزة رضي الله عنه	
١١	تسامح ملوك الهند مع الهندوس	
13	المعاهدة بين المسلمين واليهود بعد الهجرة	
14	موقفه عليه السلام حينما اشتكاه رجل من اليهود	
15	تعامله عليه الصلاة والسلام مع زيد بن سعة	
17	تعامله عليه الصلاة والسلام مع اليهودي الذي سحره	
18	تعامل الدولة العثمانية مع اليهود	
١٨	موقف صلاح الدين الأيوبي في معركة حطين مع النصارى	مواقف تسامح الاسلام مع النصارى
١٩	موقف صلاح الدين الأيوبي رحمه الله مع الصليبيين بعد فتح بيت المقدس	
٢١	موقف السلطان محمد الفاتح مع النصارى بعد فتح القسطنطينية	
٢٤	مواقف دولة الإمارات العربية المتحدة ومؤسسها الوالد الفقيه الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رحمه الله في إظهار روح التسامح ومبدأ السلام أم العالم	٢٠
٢٦	الخاتمة	٢١
٢٧	المصادر والمراجع	٢٢
٣٠	الفهرس	٢٣